... فَلَمْ أُحرمْ زيارته بقَلبي...

في السنة التاسعة للهجرة جاء عديّ بن حاتم إلىٰ النبي ﷺ ، فأعلن إسلامه بين يديه ، ثم أجلسه إلىٰ جواره ، فرأىٰ أمراً عجباً!

قال عديّ: بينا أنا عند النبي ﷺ إذْ أتاه رجلٌ فشكا إليه الفاقة ، ثم أتاه آخر فشكا قطع السّبيل.

فقال الرسول ﷺ لي: «يا عديّ ، هل رأيتَ الحيرة؟».

قلتُ: لم أرها ، وقد أُنبئتُ عنها ، قال: «فإن طالت بك حياةٌ لترينّ الظعينة[1] ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلاّ الله».

فقلتُ فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعّار طيئ الذين قد سعّروا البلاد؟

ثم قال: «ولئن طالتْ بكَ حياةٌ لتفتحنّ كنوز كسرىٰ».

قلتُ: كسرىٰ بن هرمز؟

قال: « كسرىٰ بن هرمز ، ولئن طالت بك حياةٌ لترينّ الرجل يُخرجُ ملء كفّه من ذهبٍ أو فضةٍ يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه ، وليلقينَّ الله أحدكم يوم يلقاه ، وليس بينه وبينه ترجمانٌ يترجم له ، فيقولَنَّ: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلّغك؟ فيقول: بلىٰ ، فيقول: ألم أُعطك مالاً وأُفْضِل عليك؟ فيقول: بلىٰ ، فينظر عن يمينه فلا يرىٰ إلاّ جهنّم وينظر عن يساره فلا يرىٰ إلاّ جهنّم».

قال عديّ: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «اتقوا النار ولو بشق تمرة ، فمن لم يجد شقّة تمرةٍ فبكلمةٍ طيّبة».

---

(١) المقصود هنا: المرأة في الهودج.

قال عديّ: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتىٰ تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله ، وكنتُ فيمن افتتح كنوز كسرىٰ بن هرمز ، ولئن طالت بكم حياةٌ لترونّ ما قال النبيّ أبو القاسم ﷺ: «يُخرج ملءَ كفّه»[1].

أجل يا روح الوجود يا أبا الزهراء!

من أين تلك النبوءات الصادقة لولا أنك المعصوم ، والذي يمدّه الله بالوحي، كما أخبر سبحانه وأقسم: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١ ـ ٤] ، ومن كان الوحي مؤيده ، فكيف يضلّ أو يخطئ؟!.

إليكَ أفرّ من ذُلّيّ وذنبي ... فأنتَ إذا لقيتُ الله حسبي
وزورة أحمد المختار قِدْماً ... مناي وبُغيتي لو شاء ربي
فإن أُحرم زيارته بجسمي ... فلم أُحرم زيارته بقلبي

* * *

(١) صحيح البخاري: ٤/ ٢٣٩ ، سنن البيهقي: ٥/ ٢٢٥.